



تراهن الكثير من الدول المعادية للثورة السورية على انتصار الأسد وبقائه في سدة الحكم، وهم يدعونه جهاراً نهاراً، بالمال والسلاح والسياسة وحتى بالمقاتلين، وهم يصيّرون أنفسهم بأن انتصار الأسد هي مسألة وقت، حتى أنهم سخّروا لذلك بعض المنجمين الذي تنبأ بعبور الأسد ونظامه للأزمة الحالية، وترسيخ أركان حكمه من جديد، ويظهر علينا اليوم من يهول لسيناريو القصد منه إرعاب السوريين المترددين وتحذيرهم من الدخول في الثورة وخاصة منهم الذين عاصروا الأسد الأب وعاينوا فصل من فصول البطش والتنكيل الذي أذاقه لفئات الشعب المنكوب.

ويبنون نظريتهم على عاملين:

- مخزون الذاكرة التاريخي لدى الشعب السوري من جهة، وفاتورة الثورة المرتفعة والمرتبطة بعامل الوقت والمعاناة للشعب التأثر في الداخل؛ سواء على المستوى الإنساني أم على المستويات العديدة الأخرى. هذا مع تحديد للعناصر الخارجية المساندة للثورة بالكامل - دول الخليج الدول الغربية تركيا الدول العربية -، واستحضار العناصر الخارجية المؤيدة للطاغية - روسيا إيران العراق لبنان الصين -. ولكن وخلافاً لكل هذه السيناريوهات المحبطة نقول: إن الزمان لا يعود إلى الوراء، فعوامل نجاح الأسد الأب في وأد الثورة في الثمانينات تختلف كلها عن العوامل الحالية:

- بداية نسي أصحاب السيناريو الظرف الحالي التي تقوم فيه الثورة السورية، والمحفز الأبرز وهو ربيع الثورات العربية، وخاصة أن الشعب السوري ليس أقل من الشعوب التي حققت النصر في دول الربيع العربي، ولا أقل إرادة في التغيير والتصميم والتنفيذ.

- العامل الدولي اليوم صحيح أنه متراخي لأبعد الحدود مع بطش النظام الأسدية ولكن لم يتغافل عن الجرائم كما كان في الثمانينات، وفي ظل الميديا فإن عملية توثيق الجرائم أصبحت أكثر سهولة ولن يستطيع العالم مهما تجاهلها أن يغض الطرف عنها إلى ما لا نهاية.

- العامل الأساسي اليوم أن الإعلام اليوم أكثر تقدماً وأكثر مرونة في الدخول بين مفردات الشعب السوري، وبالتالي لم يستطع الأسد وعصابته حتى هذه اللحظة إقناع حتى المقربين منه بجدوى الحلول التي يفرضها هو على الشعب السوري.

- العامل الأخير والأهم هو أن الأسد الأب كان يحارب بضعة مئات من الناشطين المسلمين، وأنه استطاع أن يقمع الثورة قبل استفحال التمرد الشعبي المسلح وحافظ على المؤسسة العسكرية وعناصر حزب البعث متماسكيه بجانبه، أما اليوم

فنحن نتحدث على عشرات الآلاف من الجنود المدربين المنشقين عن المؤسسة العسكرية والذين استطاعوا تنظيم أنفسهم في ظل مؤسسة عسكرية وليدة، يحاول البعض شرخها ولكن دون جدوى.

- نحن نتكلم اليوم على ستمائة نقطة ظاهر في ظل وجود الكم الهائل من **البطش المترامي الأطراف**، وعن ما يزيد عن خمسة ملايين ثائر استطاعوا تنظيم أنفسهم رغم كل الصعوبات، ومن يعتقد أن الحملة الأمنية اليوم هي أقل من سابقتها يكون واهم، فعصابة الأسد تحاول استخدام كامل قسوتها ولكن بعيداً عن الإعلام الخارجي، وليس أدل على ذلك من المجازر التي تتسرّب إلينا من المناطق التي يغيب عنها الإعلام جزئياً.

فماذا لو لم تحدث "المعجزة" التي يأمل بها النظام السوري وكل من يروجون لهذه السيناريوهات وخسروا المعركة مع الشعب، وماذا لو أن السيناريوهات المبنية على الحل الأمني / العسكري والتي تم رسمها في بداية الثورة أي قبل سنة تقريباً فشلت؛ وما هي نتائج وانعكاسات هذا الانتصار على مستوى الداخل السوري، وكذلك على المستويين الإقليمي والدولي؛ قبل الخوض في نتائج هذا "الانتصار" من المفيد التطرق إلى بعض السمات الأساسية لهذه الثورة والتي من الممكن أن يكون لها دور ما على صعيد هذه النتائج.

أن أهم ما يمكن الحديث عنه من سمات الثورة هو: الصبر العظيم للمعارضة؛ أمام القسوة الشديدة والطبيعة الإجرامية للنظام، والسمة الثانية البارزة بوضوح هي الإصرار والإرادة في مواجهة العنجية والصلف والاستعلاء على الآخر، مما ينتج عنه عدم استعداد المعارضة لتقديم أي تنازل تحت الضغط مما كان هذا التنازل جزئياً وصغيراً ومفانياً، وهذا ما يبرر للمعارضة التشهير ببعض الأسماء التي حاولت تقديم بعض التنازلات في الأشهر الماضية كهيئ مناع وغيره.

وبالطبع؛ فإن الطاغية سوف يحاول رفع منسوب القمع إلى درجة لا يكون باستطاعة المناهضين للنظام تحملها كإبادة الجماعية في بعض المناطق، وهذه الإبادة إذا تراقت مع سكوت المجتمع الدولي أو اكتفائه بالتنديد والشجب المترافق مع بعض العقوبات التي لا يأبه لها النظام، فإن هذا سيفسر من قبله على أنه مطلق اليدين لفعل ما يريد في الداخل السوري دون أية عواقب أو تبعات، وهذا ما يحصل فعلياً في حمص وبعض مدن ريف دمشق وإدلب.

لكن الحسم لم ولن يكون لصالح الطاغية، لأنه كما نلاحظ حاول إخماد الثورة في حوران في بداية الثورة، ونكل بها وأهلها، وعادت ونهضت من جديد، وبالتالي مسألة الحسم لن تكون لمصلحة الأسد في أي مرحلة من مراحل الثورة.

إن التجييش الطائفي الغرائزي الذي هو ركن أساسي من أركان سياسة النظام، وأن بدا أنه نجح مؤقتاً إلا أنه سوف يفشل أمام الخسائر الجسيمة للعناصر الطائفية في المعركة مع أفراد الجيش الحر.

وانتفاء الأسد للطائفة العلوية هي من أهم نقاط ضعف النظام، لأنه سوف يواجه باستمرار مسألة شرعنته.

أما نقطة الضعف الثانية فتمثل في عدم إمساكه بالقرار الاقتصادي بالكامل وهذا الأمر الذي اضطر الدول الداعمة له كإيران والعراق إلى دعمه ولكن إلى متى! أيضاً بروز علائم تململ الطبقة الاقتصادية، وهذا يفسره خروج التظاهرات في أكثر المناطق برجوازية - المزة - في العاصمة دمشق.

وربما ستتجبره على الرحيل أو تقديم التنازلات المؤلمة للتجار والصناعيين في المرحلة القادمة.

أما النقاط التي تحسب لصالح الأسد فهي **آلة البطش والقمع بأجنبتها الثالث**: قوات الفرقة الرابعة في الجيش السوري بقيادة ماهر الأسد، والمشكلة أساساً من لون طائفي واحد "علوي" ثم أجهزة الأمن وأخيراً فرق الشبيحة، وهذه الفئات مع مرور الوقت سوف تتحلل وخاصة مع تصاعد الضربات من قبل الجيش الحر، وكثرة الانشقاقات، وقلة الموارد المالية التي تصرف على الشبيحة، والتركيز في المرحلة القادمة على الأمن في سد النقص في عناصر الشبيحة.

أيضاً من نقاط القوة الدعم القوي من إيران وتبعها العراق، لبنان وكذلك العجز والتواطؤ الدولي، وقد بدت فيه بوادر تململ، وخاصة من جانب العراق الرسمي الذي رفض دعوة سوريا إلى مؤتمر القمة العربي الشهر القادم في العراق،

ومحاولة العراق التقيد بالنهج العربي وإن ظاهرياً. أما بخصوص التردد والعجز العربي فقد بدت بوادر حسم عند كل من مصر بسحب سفيرها، وقطر وال السعودية بتبني المجلس الوطني والتوجه نحو دعم الجيش الحر في المرحلة القادمة. وذلك لإدراك تلك الدول خطورة قيام الحلف الرياعي بقيادة إيران وعضوية العراق وسوريا ولبنان "الهلال الشيعي الذي حذر منه العاهل الأردني".

أما الأطراف الداخلية التي اضطر الأسد لتقديم التنازلات لها، وهي:

1- الأكراد: حيث بدا اليوم أنها حسمت أمرها في الوقوف بقوة مع الثورة، وهذا ظهر جلياً في جمعة المقاومة الشعبية. وربما تكون مشاركة الأكراد مؤثرة وحاسمة بسبب أن الساحة الكردية هي ساحة متحركة سياسياً أصلاً، وكذلك بسبب استناد ظهرهم إلى إقليم كردستان العراق بما يعني تأمين عمق إستراتيجي مريح لهم وعلى كل المستويات. وعجز بشار عن التعامل أمنياً بنفس منطق المدن الملتقطة.

2- شيوخ العشائر العرب: والذي اضطر النظام في بداية الثورة أن يرشي بعضهم بمبالغ مالية كبيرة لقاء تعهدهم له بالتأثير على عشائرهم ومنعها من المشاركة في الحراك الشعبي ضده، طبعاً، وقعت هذه الفئة تحت تأثير الانشقاقات العسكرية في مناطقها، والتي بلغت حتى الآن عشرة كتائب، وسوف تضطر هذه الانشقاقات شيوخ العشائر إلى مسيرة الثورة حتى لا تتعرض لانتقام الجيش الحر.

3- الشبيحة في حلب: والذين هم سلاح ذو حدين لأنه مع تطور الثورة ربما يتحول قسم منهم لصالح الثورة نظراً لضعف العائد المادي من أذلام النظام، والأذى الشديد الذي سوف ت تعرض له من قبل أفراد الجيش الحر.

4- البرجوازية السورية: وهي التي سوف تحس خيارها قريباً جداً نظراً للعبء الكبير الذي رتبه النظام عليها في المرحلة الماضية، والضرر المباشر لمصالحها سواء في السوق الداخلية، أو في السوق الخارجية.

هذا على المستوى الداخلي، أما على المستوى الخارجي: وخاصة دول الجوار فيمكن الحديث عن واقع جيوسياسي جديد في المنطقة من خلال ولادة الحلف السعودي التركي برعاية فرنسية، والذي ستظهر ملامحه يوم الجمعة القادمة. وهذا الحلف ذو الأسنان سيقلب طاولة المعادلات السياسية الدقيقة في الأيام القادمة.

وطبعاً من أهم نتائج انتصار الشعب واتكمال الثورة، تشكل المؤسسة العسكرية الجديدة على أساس وطني وقطع أوصال الحلف: الإيراني - الإسرائيلي، وإعادة التوازن للمنطقة، خاصة إذا انتهى حكم الأسد وجاءت حكومة منتخبة تمثل جميع أطياف الشعب السوري.

المصادر: